

د. إبراهيم محمد أبو طالب

المجلد الخامس والعشرون العدد (3)، سبتمبر 2019م

الشعرُ الغنائي الموجه للأطفال – قراءة في أنشودة "الطفل والبحر" لسليم عبد القادر

د. إبراهيم محمد أبو طالب^(1,*)

© 2019 University of Science and Technology, Sana'a, Yemen. This article can be distributed under the terms of the [Creative Commons Attribution License](#), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author and source are credited.

© 2019 جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن. يمكن إعادة استخدام المادة المنشورة حسب رخصة مؤسسة المشاع الإبداعي شريطة الاستشهاد بالمؤلف والمجلة.

¹ أستاذ الأدب والنقد الحديث المشارك – قسم اللغة العربية وآدابها – كلية العلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية

* عنوان المراسلة: imohammad@kku.edu.sa

الشعر الغنائي الموجّه للأطفال - قراءة في أنشودة "الطفل والبحر" لسليم عبد القادر

الملخص:

تسعى الدراسة إلى الوقوف على الشعر الإنشادي الغنائي الموجّه للطفل محدّدة مفهومه وأنواعه، وخصائصه؛ كون هذا الخطاب يتوجّه إلى شريحة عمرية مهمّة، هي شريحة الطفولة، وتهدف الدراسة إلى معرفة خصائص ذلك الشعر من خلال التطبيق على نصّ إنشادي شعري (الطفل والبحر) لأحد الكتاب العرب (سليم عبد القادر) في هذا المضمار، كما تهدف إلى الإسهام في القراءة النقدية ومتابعة هذا النوع من الأدب. وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستنباط وإصدار الحكم على النصّ الشعريّ الموجّه للطفل في ضوء مفهومه وخصائصه. وتوصّلت إلى عدد من النتائج المهمة وفق هذا المنهج منها: أنّ الشعر الإنشادي الناجح الموجّه للطفل له خصائص من أبرزها الروح الطفولية التي تهتمّ بقضايا الطفل، وعوالمه، واحتياجاته دون إقحام لعوالم الكبار، وموضوعاتهم، كما أنّه يتضمّن الجوانب التعليمية دون الوقوع في التوجيه المباشر، وأنّ الشاعر سليم عبد القادر من خلال أنشودة "الطفل والبحر" قد استطاع أن يقدم أنموذجاً ناجحاً للخطاب الشعريّ الموجّه للطفل وفق خصائصه المتوازنة والمطلوبة في كتابة نصّ شعريّ يلبي احتياجات الطفل، ويحقق أهدافه الجمالية، والمعرفية، والتعليمية في لغة فصحة تضيف إلى قاموس الطفل اللغوي والإدراكي، وتقدّم الكثير من القيم التربوية المناسبة للطفل والمستندة إلى الروح الإسلامية المعتدلة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الموجّه للطفل، أنشودة "الطفل والبحر"، سليم عبد القادر.

Children's Lyric Poetry: An Analysis of Child and the Sea by Salim Abdulqader

Abstract:

This study aimed to identify lyrical poetry directed to children, specifying its concept, types, and characteristics. To achieve this objective, a critical analysis of a children lyrical poem written by Salim Abdulqader was conducted. The study followed the descriptive method which is based on analysis and deduction of lyrical poems addressed to children. Major findings revealed that successful child lyrical poetry is characterized by a childlike spirit which is concerned with the child's issues, worlds, and needs without intercalating the worlds of adults and their topics; it also includes some educational aspects without resorting to direct guidance. Moreover, in his song Child and the Sea, Salim Abdulqader was able to provide a successful sample of poetic discourse directed to children according to its balanced characteristics which are required in the structure of a poetic text. Such poetry meets children's needs and achieves its aesthetic, knowledge and education objectives. It is written in a language that develops children's linguistic and cognitive lexicon and provides them with many educational values which are part of pure Islamic teachings.

Keywords: children's poetry, Child and the Sea, Salim Abdulqader.

المقدمة:

مما يستقر في ذاكرة الطفل من الأناشيد التي يحفظها في الصغر فتكون - على حد العبارة الموروثة - "كالنقش على الحجر" تلك الأناشيد التي ينشأ عليها، ويترنم بها في طفولته، وتظل ماثلة في وجدانه ومخيلته. وتشكل الكثير من قيمه وقناعاته المعرفية والنفسية والجمالية. ولهذا فإنها تغدو على قدر كبير من الأهمية والخطورة في تشكيل ذلك الوجدان الغض النابض بالبراءة والجمال والصفاء، وفي ترسيخ ميوله الفطري لحب الشعر والنغم، وتوجيه قناعاته وقيمه التربوية والدينية.

وبداية نستطيع النظر إلى هذا النوع من الشعر في عموم تقسيمه، فهو ينقسم إلى مرحلتين كبيرين، الأولى: لم يكن الشعر فيها موجهاً عن قصد وفهم ووعي للأطفال بقدر ما كان يقوله الكبار للتسلية أو للترقيص أو غيرها من الحالات والأغراض، وهي مرحلة قديمة قد تمثل لدى بعض النقاد إرثاً صلات عربية في أدب الطفل، ولكنها لم تستمر، ولم تخط خطوات كبيرة ومقصودة في هذا الميدان. والمرحلة الأخرى: مرحلة حديثة هي التي يمكن أن نقف عندها باعتبارها المرحلة الناضجة في شكل أدب الطفل وفق رؤية الكاتب وقصديته في توجيه نصه نحو هذه الفئة العمرية ملبياً مطالبها النفسية والوجدانية وفق مراحلها العمرية. وفيما يأتي استعراض لأهم ملامح تلك المرحلتين:

- مرحلة ما قبل أدب الطفل الحديث:

كما هو راسخ فإن الشعر أحد الفنون الأدبية الجميلة التي عرفها الإنسان منذ القدم، وقد استخدمتها الأمم للترفيه والتربية، وهو فن أصيل في ثقافتنا العربية - على وجه الخصوص - حيث يبدأ مع الطفل من مرحله الأولى؛ لأنه فن قوم يعتزون به، ويقرضونه، وينشدونه، ويترنمون به في كل مجريات حياتهم من أفراح وأتراح. وكما تعرض لنا المدونة العربية التراثية في كتب تاريخ الأدب، ودواوينه، وموسوعات العربية الشهيرة من نماذج كانت تغنيها الأمهات لأطفالهن، وتنوهم بها أو تغني لهم في أوقات تغذيتهم، وتدليلهم؛ لتكمل بذلك حنانها، وعطاءها التربوي.

وقد احتفظت الذاكرة العربية بشيء غير قليل مما ساد من الأشعار، والحكم في مرحلة ما قبل أدب الطفل الحديث، ومن أبرزها - في تراثنا العربي - ترقيص الأطفال، ومداعبتهم بالأغاني، والأهازيج. "وقد أدرك هؤلاء العرب في جاهليتهم وإسلامهم أن الأهازيج التي يداعبون بها أبناءهم تدخل الفرحة، والسرور على هؤلاء الصغار، وتجعل نفوسهم أكثر صفاءً وأشد بهجة" (الهرقي، 1996، 36)، ولم تكن الأم وحدها من يترنم بتلك الترانيم، بل يشاركها الأب أيضاً، ولعل في هذا النموذج دليلاً واضحاً؛ حيث يقول الشاعر مخاطباً ابنته، ويمكن للأُم أن ترددها معه أو أن تكون هي قائلتها أيضاً:

بُنَيْتِي يُحِبُّهَا أَبُوهَا

مَلِيحَةُ الْعَيْنَيْنِ عَذْبُ فُوهَا

لَا تَحْسِنُ السَّبَّ وَإِنْ سَبَّوْهَا (سويلم، 1985، 45).

ومثلها ما يروى عن الزبير بن عبد المطلب أنه كان يداعب نبينا محمدًا ﷺ، وهو صبي فيقعده على حجره، وينشد له أبياتاً فيها ما يروجه في المستقبل بأن يكون في عيش هانئ، وأن يكون معززاً مكرماً في قومه.. ولم يكن يعلم أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ ابن أخيه محمدًا ﷺ ليكون نبي هذه الأمة، يقول الزبير بن عبد المطلب:

محمد بن عبد م

عِشْتُ بِعَيْشِ أَنْعَمَ

وَدَوْلَةُ وَمَعْنَمَ

في فرع عز أسنم

دام سجيُس الأزلَم (القالي، 1984، 115).

وغيرها من النماذج الكثيرة في تراثنا التي تحمل أبعاداً تربوية، وقيماً، وأخلاقاً، ومعارف (أبو سعد، 1982)، ومن هنا تأتي أهمية هذا النوع في ثقافتنا العربية، وتبرز تلك الأهمية في الشعر بكونه فناً يمتاز عن باقي الفنون الأدبية الأخرى بالموسيقى، والنغم، والإيقاع الذي يجذب الطفل، وإن كانت تلك النماذج والإرهاصات قد حضرت في شعرنا العربي لكنها لم تشكل نوعاً أدبياً مستقلاً بذاته يمكن أن نطلق عليه باطمئنان بأنه شعر موجه للأطفال.

- مرحلة أدب الطفل الحديث:

بدأ الاهتمام في العصر الحديث بهذا النوع من الأدب من خلال المختصين فيه، وتوجيه المواهب والقدرات للكتابة في هذا النوع الخاص، ولم يعد مجرد أدب عابر أو كلمات تكتب للكتاب فيتلقها الصغار، أو تنتقى من كتبهم وعوالمهم، بل أصبح أدباً مقصوداً لذاته، وفي ذاته، له خصوصيته، ومكانته، ووعيه الكامل بطبيعة المخاطب والمخاطب والخطاب نفسه، ولهذا اكتسب الشعر منزلة خاصة في أدب الطفل الحديث، وأصبح الفن الأدبي الأقوى تأثيراً في نفوس الأطفال، وله خصائص محددة وقف عندها كتاب أدب الطفل ومنظروه، ومنها ما يخص الخطاب الشعري تحديداً؛ وذلك "أن المجازات، والكنيات، والإشارات الضمنية في شعر الأطفال يجب أن تكون محدودة وقليلة، وحتى هذا المحدود منها يتحتم أن يكون متعلقاً بالموضوعات التي تدخل في نطاق تجارب الصغار؛ لأنها إذا لم تكن تشير إلى موضوعات معروفة لديهم أحدثت عندهم الارتباك، والاضطراب، وعدم الفهم" (الحديدي، 1986، 199)، هذا بشكل عام من جميع النواحي الفنية والتأثيرية، أما من الناحية التربوية، فإن الشعري يوجه الأطفال نحو الممارسات السلوكية الحميدة لما يحتوي عليه من مضامين مختلفة تحثهم على ذلك، كما أنه يعد وسيلة من أهم وسائل التعلم، وخصوصاً في المراحل المبكرة من حياة الطفل؛ حيث إنه يساهم في زيادة الحصيلة اللغوية للطفل، ويدربه على استخدام اللغة السليمة، فالشاعر الذي "يتحدث للأطفال لا بد أن يحرص على استعمال الأسلوب السهل البسيط، وكذلك المفردات اللغوية التي يدرجها الطفل" (الهريرة، 1996، 81).

ويشترط لتكون الفائدة متحققة وذات جدوى أن يتم اختيار النماذج الجميلة، والقوية، والمستقرة تربوياً، تلك النماذج التي اكتسبت أهميتها من جودتها، وخبرات قائلها، وتمكنهم من هذا الفن الشعري، وعلى القائمين على العملية التربوية حسن الاختيار من دواوين شعر الأطفال التي أبدعها شعراء نجحوا في الكتابة للصغار، وبذلوا جهداً في ذلك، بعيداً عن القصائد القليلة العدد التي اعتمدها الكتاب المدرسي، وقد يرى فيها المعلم شيئاً من الجفاف، والضعف الفني، وكما يقول الأستاذ عبد التواب يوسف - ونوافقه الرأي والملاحظة -: "أما المدرسة فقد غادرت صفحات كتبها المقررة قصائد شوقي، وحافظ، ومطران، وجبران، والزهراوي، والرصافي، وعمالة القصيد العربي، لتحل محلها قصائد ضعيفة يكتبها بعض من ينتسبون إلى السلك التعليمي، ولا تنتمي إلى الشعر في شيء... ويفترض أن يحفظ الطفل هذه النصوص التي تنفره من الشعر، ومن الأدب، بل وربما تنفر من الحياة ذاتها... وقد أصيب ينيابغ الشعر في حياة أطفالنا بانفصام مرير؛ شعر عظيم يكتبه كبار الشعراء، ولا شعر ينظمه رجال التعليم" (يوسف، 1995، 67).

ومن هنا تتضح أهمية الكتابة والإبداع في الشعر الموجه للأطفال، وكذا "يمكن أن نجعل الطفل نفسه يحاول الكتابة، أو التثني، أو الإبداع، علينا تشجيعه على المحاولات، وتهذيبها بأسلوب تربوي خفيف هادي؛ لأن كتابة الشعر للأطفال أو محاولاتهم هم كتابته تحقق سبعة أهداف، كما جاء في كتاب "تدريس الكتابة الإبداعية في المدرسة الابتدائية" (Essex، 1996) وهي:

- 1 - المتعة.
- 2 - تقوية التعبير الفني.
- 3 - الكشف عن قيمة الكتابة، ووظائفها.

- 4 - إثارة الخيال.
- 5 - تقنية التفكير.
- 6 - البحث عن الهوية.
- 7 - تعلم القراءة، والكتابة.

فهذه الأهداف تبين مدى أهمية أن تغدو الكتابة الإبداعية جزءاً مهماً من البرنامج اليومي للصفوف الابتدائية، ومن المهم توضيح هذه الأهداف للإداريين التربويين، ولأباء الذين قد يعدون الكتابة للأطفال مجرد تسليّة لا تضيف أطفالهم، ولم يدركوا أن هؤلاء الأطفال يستمتعون بالكتابة الإبداعية لا سيما في النصوص الشعرية الإنشادية.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات العلمية والأكاديمية في شعر الأطفال عموماً يصعب حصرها، ولكن ما يتعلق بالدراسات التي ترتبط بموضوعنا المتعلق بالشعر الإنشادي الموجه للطفل، وبعينة الدراسة وبالشاعر سليم عبد القادر وبشعره الموجه للأطفال فإن المطلع يجد مقالات كثيرة بعضها انطباعي، وبعضها صحفي لا تركز على منهج علمي محدّد، ولكن مما اطلعنا عليه من البحوث الجادة وما يعتد به هو دراسة الوافي (2018)، بعنوان: "النص الشعري في أدب الأطفال عند سليم عبد القادر قضاياه، وخصائصه الفنية"، وتبحث الدراسة في الخصائص الفنية وقضايا المضمون في الأدب الشعري المكتوب للأطفال، وتهدف - بحسب ما تقول في مقدمتها - إلى سد فراغ في الدراسات العربية الأدبية والنقدية في مجال أدب الطفل، وتسعى للكشف عن الخصائص الفنية والسمات الأسلوبية في الكتابة الشعرية للأطفال لدى الشاعر السوري المعاصر "سليم عبد القادر"، وملاحظة مدى تلاؤمها مع المرحلة العمرية المستهدفة والموضوع الشعري، وقد قسّمت الدراسة إلى أربعة فصول؛ تم فيها التعريف بموضوع البحث وأهميته، وبمفهوم أدب الطفل والاشكالات المتعلقة بالمصطلح، ثم التعريف بالشاعر سليم عبد القادر، ومقومات شاعر الأطفال، أما بقية الفصول فاهتمت بدراسة الألفاظ والتراكيب والسمات الفنية لنصوص الشاعر، وقضايا المضمون لهذه النصوص.

وهي تختلف عن دراستنا هذه في طبيعة التناول واتساع المدونة لديها في حين ركّزنا نحن في دراستنا هذه على نصّ شعري واحد تعمّقنا في اتخاذه عينة دالة لنموذج ناجح - من وجهة نظر الدراسة - تتبين من خلاله خصائص شعر الأطفال وفق معايير الكتابة الشعرية للطفل، وفي تعميق النظر في نصّ شعري واحد نقوم باستجلاء خصائصه ومعرفة طبيعته الأسلوبية والفنية، وفي ذلك ما يدل على أننا نريد أن نكسب بالعمق والتركيز ما قد نخسره بالاتساع، والنماذج المتعددة، إذ الغاية هو الفحص والحصر في نقاط البحث الدالة على الموضوع بما يخدم الدراسة، ويركز على أسئلتها، ومشكلتها.

مشكلة الدراسة:

تبدو المشكلة متركزة في طبيعة النص الشعري الذي يصلح للإنشاد والغناء، والذي يتقبّله الطفل، ويسير في وجدانه، ويعيش معه لخصوصية الكلمة المعبرة والوجدان الصادق والمرحلة العمرية التي يخاطبها ويتفاعل معها وينفعل بها ومن أجلها، وبين النص الذي لا يستطيع الحياة والسيرورة والانتشار، ولا يتقبّله الطفل، ومن هنا نجد الكثير من الكتابات الموجهة للطفل؛ ولكنها لا تتساوى فيما بينها في النجاح أو في القبول، وكذلك في صلاحية غنائها واستمرارها، فما طبيعة ذلك النص الناجح؟ وكيفية توفر العناصر المكتملة لبنائه؟ وهل كل شعر موجه للأطفال يصلح للغناء والإنشاد؟.

ومن هنا نجد المشكلة تتضح في عدم إدراك بعض كتّاب أدب الطفل للنص الشعري الغنائي الذي تنطبق عليه الشروط الفنية والإبداعية، ويتوافق مع طبيعة المرحلة العمرية، وجل ما قد يكتب للطفل لا يستطيع النجاح والخلود، فما السبب في ذلك؟ ولهذا سنستعرض نصاً توافرت فيه تلك الخصائص الناجحة والمقومات الفنية. مما قد يصلح أن يكون نموذجاً لكتابة الشعر الغنائي الموجه للطفل العربي لمتابعة هذا النوع من

الأدب من قِبَل كُتَاب أدب الطفل للنص الشعري الغنائي، وأن تتَّجه الدراسات العلمية والنقدية إلى هذا النوع من الأدب وتهتم به، وتطوِّره في ضوء الدراسات النفسية لخصائص الطفل في هذه المرحلة، ومتطلباتها التربوية، ومستجدات روح العصر الذي يعيش فيه هذا الطفل.

أسئلة الدراسة:

هناك سؤالان أساسيان ستحاول الدراسة الإجابة عنهما:

- 1 - ما طبيعة الشعر الموجه للطفل من حيث مفهومه، وأهميته، وأنواعه، وأبرز خصائصه؟
- 2 - كيف يتمُّ التطبيق لقراءة نصِّ شعري واحد من تلك النصوص الموجهة للطفل، قراءة متعمِّقة لهذا النصِّ من أجل استجلاء طبيعة بنائه، وموضوعه، وخصائصه الفنية والجمالية؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذا الموضوع في طبيعة المخاطب، وهو الطفل ذو الحساسية المفرطة، وفي كيفية تلقيه للنص الشعري، وفي تفاعله معه، ومدى تأثره به، وتأثيره عليه، وفي توجهاته نحوه، وفي طبيعة الخطاب أو النص الشعري الموجه إليه، وفي خصوصية هذا الخطاب الشعري الذي لا بد أن يظهر بمواصفات مختلفة عن أي خطاب شعري آخر، لما يفترض أن يحتويه من موهبة إبداعية يتحلى بها كاتب النص الشعري الموجه إلى الطفل، ولما تحتاجه طبيعة الطفل من خبرة تربوية وموجهات قيمية خاصة به ينبغي تضمينها في هذا النص الشعري؛ ولهذا فحين نقف على دراسة مثل هذه النصوص، فإننا نراعي ملحقين أساسيين هما: طبيعة الخطاب (الموجه)، وخصوصية المخاطب (الموجه إليه) هذا النص، ومن هنا تتضح أهمية هذه الدراسة في موضوعها، وفي هدفها، وفي قراءتها التحليلية، بالإضافة إلى أن الإسهام في القراءة النقدية ومتابعة هذا النوع من الأدب الموجه لشريحة عمرية مهمة يجب أن تنجّه إليها الدراسات العلمية والنقدية وتهتم بها.

أهداف الدراسة:

إن أبرز الأهداف لهذه الدراسة تظهر فيما يأتي:

- معرفة طبيعة الشعر الموجه للطفل من حيث مفهومه، وأهميته، وأنواعه، وخصائصه العامة.
- بيان خصائص النصِّ الإنشاديِّ الغنائيِّ الموجه للطفل من خلال التطبيق على نصِّ غنائيٍّ شهيرٍ لأحد الكتاب العرب.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي القائم على استعراض الشعر الموجه للأطفال؛ وذلك من خلال بيان مفهومه، وأبرز خصائصه، ثم التحليل البلاغي والفني لبناء أحد النصوص الشعرية الموجهة للأطفال، موضوعاً موضوعه، وجمالياته الفنية. وقد اتخذ الباحث في سبيل ذلك الإجراءات الآتية:

- بيان مفهوم الشعر الموجه للطفل عموماً وأهميته، وأنواعه، وخصائصه.
- استعراض نموذج شعريٍّ غنائيٍّ لأحد شعراء الطفولة العرب المعاصرين، وهو الشاعر السوري سليم عبد القادر؛ وبيان مدى تطابقه مع الخصائص الفنية للشعر الإنشادي الغنائي الموجه للأطفال.
- استنباط أهم الخصائص التي تميّز بها النص الشعري الإنشادي الموجه للطفل من حيث إبراز الروح الطفولية، وطبيعة بناء الجملة، والوزن والإيقاع، وقصر النص، وطبيعة الحركة والطرافة والقصصية، وغيرها من الخصائص التي فصلتها الدراسة وبيّنتها في مواطنها.

نتائج الدراسة:

يمكن إبراز تلك النتائج من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة ومناقشتها، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:
أولاً: ما مفهوم الشعر الموجه للطفل، وما أهميته؟ وما أنواعه، وأبرز خصائصه؟
- مفهوم الشعر الموجه للطفل:

بدايةً نودُ التوضيح للمفهوم، حيث جرت العادة في التسمية أن يقال "شعر الأطفال" ويقصد به الشعر الذي يكتبه الكبار موجهاً للأطفال، ولكن دلالة مصطلح "شعر الأطفال" - بإضافة مفردة (الشعر) إلى (الأطفال) - تقتضي أن الشعر يكتبه الأطفال، ومن هنا فالمفهوم الأدق هو أن يقال: "الشعر الموجه للأطفال" وهو الشعر الذي يكتبه الشعراء الكبار خصيصاً للصغار، وينطبق عليه ما ينطبق على شعر الكبار من تعريفات ومفاهيم غير أنه يختص في مخاطبة الأطفال، وهم بحكم سنهم يختلفون عن الكبار في الفهم، والتلقي (جلوي، 2008، 141)، ويعرفه المهتمون بأنه "تلك الكلمات العذبة التي يرددها الطفل، فيطرب لسماعها، وهو يلبي جانباً من حاجاته الجسمية، والعاطفية، ويسهم في نموه العقلي، والأدبي، والنفسي، والاجتماعي، والأخلاقي.. إنه فن من فنون أدب الأطفال" (كنعان، 1995، 208)، وعلى شاعر الأطفال كما يرى مرتاض "أن يضع في حسابه كثيراً من التقنيات، ويرصد إزاء ذهنه عدداً من الحقائق التي لا تقبل الجدل، ومنها مراعاة المستوى العمري، والفكري، واللغوي، والنفسي للأطفال" (1994، 62).

يُضاف إلى ذلك «الإيقاع الموسيقي الذي يُعد ركيزة أساسية في شعر الطفولة، لأن "الأطفال إيقاعيون بالفطرة، فهم ينامون على أصوات أغاني أمهاتهم، ويحبون اللعب بما يصدر من أصوات مختلفة، ويترنمون بما يحفظون من كلمات فيها نغمات غنائية" (أبو معال، 2005، 87).

ويجد الأطفال في الشعر المغنى أنفسهم، فمن خلاله يحلقون في الخيال متجاوزين الزمان والمكان، ويضفي ذلك اللون الفني لمسات فنية على جوانب الحياة لتغدو لوحات فنية زاهرة، وطريقة الإنشاد والغناء في المعالجة تقتضي كلمات مألوفة، وخبرات محدودة؛ لذا يراعى فيها أن تكون الإيقاعات، والأوزان، والقوافي واضحة رنانة، ويتخذ من الصورة البسيطة أداة للتعبير، ويجب أن تكون واضحة في تناول الطفل.

وكما ينبغي أن يكون شعر الأطفال بسيطاً الفكرة، يراعى أن تكون معانيه حسية يستطيع الطفل إدراكها، وينبغي أن تكون لغته سهلة خالية من المفردات الصعبة، وأن تكون متجانسة مع الأفكار التي تحملها، إضافة إلى سرعة الإيقاع، والحركة، وأخيراً بما أن الشعر يخاطب الوجدان البشري، ويحرك كوامنه بفضل مضمونه، فإذا تناول قضايا منطقية أو علمية يجب أن يلونها بألوان عاطفية، ويربطها بالوجدان الإنساني لكي يهز هذا الوجدان، ويحرك كوامنه الفطرية، والتنظيمية، والخيالية.

والشعر الموجه للأطفال جزء من أدب الطفل عموماً ذلك الأدب الذي من صفاته - كما يرى الهيتي - أنه من "الأثار الفنية التي تصور أفكاراً، وأحاسيس، وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال، وتتخذ أشكال القصص، والمسرحية، والمقالة، والأغنية" (1977، 72)، وأنه يحتوي على الكثير من القيم، مراعيًا المرحلة العمرية التي يخاطبها؛ لأنه "خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان، وبخاصة للأطفال فيما بين الثانية، والثانية عشرة أو أكثر قليلاً، يعيشونه، ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة، والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة، والمرح، ويُنمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوّي تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق العنان لخيالاتهم، وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان" (يحيى، 2001، 25).

ومن خلال التعريفات السابقة وغيرها الكثير يمكننا الاجتهاد في وضع تعريف خاص للشعر الغنائي الموجه للطفل، فنعرّفه بأنه: فن إيقاعي من فنون الخطاب الأدبي يعتمد على الكلمة الشعرية المناسبة للبيئة بالقيم الجمالية أو الدينية أو الاجتماعية، أو الإنسانية، يبدعه (المخاطب) ويكون شاعراً متمكناً ذا مواصفات ثقافية وتربوية وإبداعية خاصة، ويقدمه بأسلوب شائق لا يخلو من المرح والترفيه واللعب والإيقاع، يتوجه به إلى (المخاطب) وهو أطفل؛ مراعيًا المرحلة العمرية المناسبة وقاموسها اللغوي والإدراكي والنفسي

واحتياجاتها من خيال وواقع، بما ينسجم مع فطرة الطفل وبراءته ومتطلباته؛ لينمو نمواً جمالياً وإيقاعياً سليماً، وهو حق من حقوقه لحياة سوية كريمة.

- أهميته :

تتضح أهمية الشعر لحياة الطفل في رغبته الشديدة إلى استماع الأغاني، والأناشيد ذات الإيقاع الخفيف، والنغم الجميل، والكلمة السهلة الواضحة، وإذا ما صاحب ذلك الصورة، أو الرسوم المتحركة (الفيديو) كان أكثر تأثيراً وأشدّ اجتذاباً لانتباه الطفل، واحتواءً لمشاعره، والتأثير عليه، ولعل ما طرحه الأستاذ عبد التواب يوسف في مقدمته لكتاب (المختار من شعر شوقي للأطفال) يؤكد هذا التأثير، وذلك السحر للشعر حين يقول: "إن الطفل - حتى وعمره عام واحد - يتوقف عن حركاته، واهتزازاته إذا هو سمع مقطوعة من الشعر "منغمة ملحنة، موقعة مغناة"، وبعدها قد تضيء وجهه ابتسامة حلوة، الأمر الذي يؤكد التأثير السحري للشعر، ولو أننا أعدنا على مسمعه ذات المعاني بدون تنغيم، أو توقييع، فلن يعيرها اهتماماً أو التفاتاً" (يوسف، 2000، 9).

- أنواعه :

هناك العديد من الأنواع في الشعر الموجه للأطفال، لعل من أبرزها (النويرة، 2008، 11 - 12) :

1. الشعر التعليمي: وهو يتضمن قيماً تعليمية، ويستعمل داخل الفصول في المدارس، ولعله من أقدم أنواع الشعر.
2. الشعر القصصي: وهو الذي يتناول فكرة ما بشكل قصصي، وهو أكثر الأنواع تأثيراً في نفسيات الأطفال، ويمتاز بالابتعاد عن صفتي: الوصفية، والمباشرة.
3. الشعر الدرامي: يكتب هذا الشعر للعرض ضمن واحدة من الوسائل الثقافية الدرامية: كالإذاعة، والتلفزيون، والمسرح، والوسائط الحديثة للعرض، وتكنولوجيا الاتصال المعاصرة (كالموسيقى، والفيديو، وغيرها).
4. الشعر الفكاهي: وهو شعر يقبل عليه الأطفال، وينفعون به، ويؤدي دوراً مهماً في تجديد نشاط الأطفال، وتنمية ذوقهم، وبملاحياتهم بالمرح، والتفاؤل.
5. شعر الألفاظ والأحاجي: وهو شعر يؤدي دوراً كبيراً في تنمية قدرة الأطفال على التفكير العلمي المنظم الدقيق. ويضاف إلى ذلك أيضاً:
6. شعر الأمهودات والترقيص (زلط، 1997): وهذا النوع من الشعر هو الذي يأتي - بحسب مراحل الطفل العمرية - في بداية تكوين الطفل الوجداني، وحب النغم فيه فطري، وقد عرفه العرب منذ أقدم العصور.
7. شعر الأناشيد والأغاني - ونحن نأخذ بالمصطلحين هنا بمفهوم واحد سواء أكانت مصحوبة بالموسيقى أم بدونها؛ لأن الجامع المشترك بينهما هو اللحن، والنغم، والأداء الصوتي المطرب الجميل - وتعد الأناشيد والأغاني من أهم الفنون التي يستجيب لها الطفل في بواكير حياته؛ لأنها تساعد على سرعة الحفظ، كما تشجع النغمات الإيقاعية الطفل المتلثم في الكلام أثناء الأناشيد، ويميل الأطفال إلى التنغيم، والإيقاع فطرياً، وقد أخذت الأغنية والنشيد طابعاً منهجياً حين دخلت إلى كتب الأطفال بطريقة هادفة، ومفيدة، وموجهة للأطفال على تنمية الجوانب السلوكية، والمعرفية، والوجدانية في تعلمهم، كما أنها وظفت وسائل الاتصال المساندة لتناسب مراحل الطفولة، فالأعمال الفنية التي تنتقل إلى الأطفال عن طريق وسائل الاتصال المختلفة تشتمل على أفكار وأخيلة، وتعبّر عن أحاسيس ومشاعر، وتتفق مع مستويات نمو الأطفال" (شحاتة والنجار، 2003، 29؛ طعيمة، 1998، 76).

- خصائصه :

من أهم خصائص الشعر الموجه للأطفال - كما يؤكد عليها داود (1993، 90) - أن يكون "فيه النغم الصوتي، والصورة الفنية، والتسيج اللفظي، والبناء الفكري للمقطوعة الفنية.. والشعر بذلك قادر على تحريك كثير من مظاهر النشاط الكامنة في روح المتلقي ونفسيته، وهو يجعل الأطفال أكثر وعياً بوجود طاقاتهم الخيالية، وعوالمهم الوجدانية".

كما أن الأناشيد تمثل نشاطاً مصحوباً بالحركة، والصوت، والمشاركة الجماعية المصحوبة بالموسيقى المعرفية، والوجدانية، والحركية؛ أي أنه ليس نشاطاً قائماً بذاته، بل يشتمل على المعاني الجميلة، والتعود على سماع العبارات الأدبية، والغناء، والألعاب الحركية المختلفة.

ويمكن تحديد خصائص الشعر الموجه للأطفال - كما يرصدها الصفدي (2008) - في نقاط محددة موجزة على النحو الآتي:

1. الروح الطفولية.
2. الجملة البسيطة.
3. المفردة السهلة.
4. الأوزان القصيرة.
5. التنوع في الأوزان والقوافي.
6. التركيز على الجرس الموسيقي والأصوات.
7. القص في النص.
8. الحركة، والقص، والطرافة.
9. الابتعاد عن الضرورات الشعرية.
10. التكرار.
11. التعليمية.

لن نجادل في أن ما يكتب للطفل ينبغي أن يكون شعراً حقيقياً؛ بمعنى أنه يحوي خيلاً، ودهشة، وعذوبة في صياغات أسلوبية ماهرة، إلا أن ما يميز هذا الشعر عن غيره هو احتواؤه دائماً على هدف تعليمي مؤكد، ولا نعني هنا أن تتحول القصيدة إلى منظومة تعليمية في الوطنية أو الجغرافيا أو العلوم، فهذا يهبط بها فنياً، لكن المقصود أن النص الناجح للطفل يحمل في داخله معلومة مفيدة علمياً أو تربوياً أو صحياً... الخ؛ لأن الشعر الموجه للأطفال يختلف عن الشعر بمعناه العام بكونه مكتوباً بقصدية واضحة، أي أن قصيدة الطفل لا تأتي كحالة شعرية من الوجدان الخاص الذي يعيشه الشاعر، ولكنها تنبع من فكرة واضحة لدى المبدع، ينطلق منها إلى تحقيق الإطار الفني لها.

إن القصيدة الموجهة إلى الأطفال تصنع صنعا، وليس المقصود أنها سهلة، بل ربما تكون في غاية الصعوبة لمن جرب أن يكتب الشعر المتميز منها، وهنا يتم التركيز على الحالة الشعرية النوعية في هذا الشعر، فهو يبدع بكامل الوعي وأرهفه، بينما الشعر عموماً يحتاج إلى تهويم خاص يقترب من الحلم.

وعلى الجملة فإن المادة الشعرية الموجهة للطفل يجب أن تتضمن "القيم، والمعارف، والوجدانيات، وأن تبعد عن الأساطير غير المنظمة، ولا تبت أفكاراً عنصرية أو عدوانية، كما أنها لا تهمل الوظيفة الترويحية، وتحرص على تحفيز المحاولات التي يقدمها الطفل بنفسه (الطفل مبدعاً)" (زلط، 1998، 104).

تلك إجمالاً هي خصائص الشعر الموجه للطفل، وثمة خصائص أخرى قد تتفرع منها أو تتلاقى معها أو تتفرّد عنها، ولكنها في الغالب الأعم تلتنق في هذه الخصائص، وتلك السمات؛ لكي تكتب شعراً طلياً يفتح للطفل، ويرقى إلى مستواه الخيالي، والعاطفي، والإنساني، ويتقبله الطفل فيدخل إلى وجدانه، وبالتالي يخلد في عالمه، ويستمر في ترديده وتكراره بما يكتب له من الحياة، فيتحوّل إلى نماذج مستقرة ثابتة في الوجدان الجمعي للطفولة، وتلك غاية كاتب الطفولة، وهدفه الأكبر والأسمى.

ثانياً : كيف يتم التطبيق لقراءة نص شعري واحد من تلك النصوص الشعرية الغنائية الموجهة للطفل، قراءة متعمقة لهذا النص من أجل استجلاء طبيعة بنائه، وموضوعه، وخصائصه الفنية والجمالية؟

نقف فيما يأتي على نموذج من الخطاب الشعري الإنشادي الموجه للطفل لنتبين خصائصه، وجمالياته، وطرائق كتابته وفق معايير كتابية النصوص الشعرية الموجهة للطفل، تلك الكتابة التي تحقق الجوانب المطلوبة واللازمة في هذا الخطاب؛ لتكون مؤثرة في الأطفال، وجاذبة لهم، وملبية لاهتمامهم وتذوقهم الفطري في حب الشعر، والانجذاب للنغم، والتراقص باللحن، والكلمة البسيطة المعبرة عن مراحلهم العمرية، واحتياجاتهم النفسية، وتنمية مهاراتهم الإبداعية الخاصة بهذا النوع من الشعر الإنشادي الغنائي.

لا شك أن لدينا الكثير من النماذج الناجحة التي كتبها عدد من شعراء الطفولة العرب في كل قطر عربي ممن نذروا أنفسهم، ووقفوا مواهبهم وأوقفوها لخدمة الطفولة وعواملها، والنهوض بها، والاهتمام بمتطلباتها، وقد ساعد على انتشارها في الأونة الأخيرة ما تقدمه وسائل التواصل الإعلامي والتكنولوجي الحديث - عبر القنوات الفضائية، ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى مثل اليوتيوب وغيرها - من إمكانيات عالية، وشيوع ملحوظ.

وقد زاد ذلك الاهتمام والانتشار في الجانب الغنائي دخول الفيديو كليب في الإخراج للأنشودة وانتشارها، وذلك لما للأنشودة والأغنية من دور كبير في نشر الفرح، وبث السعادة والمعرفة في آن واحد لدى الأطفال، فالأنشودة تفرح، وتمتع، وتعلم في الوقت نفسه.

ومن هنا نهض عدد من الشعراء المتخصصين إلى الكتابة الشعرية الغنائية، وفق هذه الوسائط الحديثة والمتنوعة، ومن أولئك النفر الذين نهضوا لكتابة الأنشودة من اتخذ من اللغة العربية الفصحى سبيلاً للكتابة، فلم ينحدر في طريق العاميات والمحكيات المحلية لإدراكه الناضج والتزامه الواضح بأهمية اللغة الفصحى في نشر الثقافة العالية، وتمكين اللغة الأم القومية والإسلامية لغة القرآن الكريم، والبيان المبين، والتاريخ العظيم، والإبداع الجميل بكل تجلياتها، وهم بذلك ينشئون جيلاً معتزاً بلغته العربية، وتراثه الجيد محققاً بها في كل الأقطار العربية والإسلامية بما هو مشترك رابط يجمع بينها.

إذا فأولئك الشعراء يدركون -بتوجههم الواضح والتزامهم المقصود باللغة الفصحى في مستواها المفهوم غير المعقد، ولا المتعقّر، ولا القاموسي الغامض- مدى أهمية كتابة شعر جميل للأطفال بهذه اللغة، يراعي مراحلهم العمرية، ويمدهم بقاموسهم الإدراكي والجمالي المناسب، ومن أولئك النفر القليل المتميز في الوطن العربي يأتي الشاعر سليم عبد القادر رحمه الله⁽¹⁾، وهو شاعر كتب الكثير من الأناشيد للطفولة بمراحلها المختلفة، ونشرت لمحنة ومغناة عبر قناة (سنا) الفضائية حصرياً خلال عمله فيها لسنوات كثيرة، وقد كرّس بكتاباته تلك، وبمشرّوعه المتتابع الكثير من القيم، والأخلاق، والتعاليم، والجمال في تذوق الأطفال، وفي عالمهم النقي، وساعده على ذلك اللحن الجميل، والتصوير المتميز، والإخراج الفني المحترف من خلال "الفيديو كليب"، والأطفال الذين يجسدون تلك النصوص بأدائهم التمثيلي، وبأصواتهم العذبة التي تبعث في نفوس أقرانهم عبر الشاشة الكثير من البهجة، والفرح، والجمال، والقيم، والمعرفة التي تربط بين الكلمة والنغمة، وبين الحركة والصورة في قالب إنشادي، وتمثيلي بديع وممتع.

(1) سليم عبد القادر زنجير، أديب سوري من مواليد عام 1953م بمدينة حلب، درس الهندسة المدنية بجامعة حلب، ثم اتجه إلى العمل في مجال الأدب، وبدأ كتابة الشعر في مرحلة مبكرة، نشر عشرات القصائد في عدد من المجالات، له ديوان بعنوان (القادمون الخضر)، وكتب الكثير من القصائد الوطنية، ثم تفرّع للكتابة للطفل، وكان مديراً فنياً لقناة سنا الفضائية للأطفال، وكتب للطفل أكثر من 250 أنشودة، وقد نالت أعماله عدداً من الجوائز من أهمها: جائزة الدولة لأدب الطفل في قطر 2008م عن ألبوم "صبح الخير يا أمي"، والجائزة الذهبية في مهرجان القاهرة 2001م عن ألبوم "عودة ليلى"، والجائزة البرونزية في مهرجان البحرين 2001م عن ألبوم "طائر النورس" والجائزة الذهبية والبرونزية في مهرجان عمان 2010م عن أنشودتي أغلى هدية، وخالتي، توب في مدينة الرياض، في 6/4/2013م (دار ناشري، 2007).

وكتابة هذا النوع من الشعر كما يرى النقاد "يبدعه صاحب موهبة وخبرة، ويتوجه به للأطفال غير الراشدين مراعيًا المراحل العمرية المختلفة لهم، فيخاطب وجدانهم، ويخلق بخيالهم، ويقدم لهم القيم، والخبرات في ثوب فني معجب، ولغة مؤثرة مشوقة، وبصورة موحية" (شبانة، 2011، 33).

وقد اخترنا من تلك الأناشيد الكثيرة، ومن مشروعات الشاعر أنشودة (الطفل والبحر) لنستجلي خصائصها، وجمالياتها؛ كونها واحدة من أجمل أناشيد الطفولة حضورًا، وتأثيرًا في الأطفال من ناحية، ولأنها رائدة في تجربته - كما يقول الشاعر في إحدى اللقاءات التلفزيونية معه- حيث تعد أول أنشودة فتحت عالم سمس، وحكاياته البديعة على الطفولة، والتغنى من ناحية أخرى.

1 - الروح الطفولية:

وفي هذه الأنشودة روح طفولية خفيفة تتمثل في تركيبها المجل، وفي معالجتها لموضوع واقعي من الحياة اليومية، ولهذا فإن كاتب الطفل "يمتلك حسًا طفوليًا صادقًا، ونفسًا طفولية متقدمة متجددة، يعيش الطفولة بتفاصيلها، وليس مجرد هاو مجرب" (البكري، 2014، فقرة 23)، وهنا نجد الروح الطفولية قد توفرت في هذا النص الذي تجسد في تصوير طفل يقف أمام البحر بكل بهائه، وجماله، فيلعب، ويجمع الصدف شأن كل الأطفال حين يدهشهم هذا المنظر، فيشرعون في جمع الأصداف، وتأمل حركات الأمواج، وأصواتها، وألوانها، ثم يدخل النص بأسلوب (الاستشارة والاستجابة)، والسؤال والجواب بين طرفي اللقاء، وهما: الطفل، والبحر، حيث تبدأ الاستشارة من قبل البحر بأن يبذل الطفل بأمواله، فتكون استجابة الطفل الفطرية هي الإحساس بالبرد، فالارتجاف نتيجة ذلك البرد، وهكذا يكون الإحساس بأكثر من حاسة شعورية من خلال اللمس، والماء، والريح، فيكون الارتعاش، والارتجاف كعلامة لشدة البرد، ومن هنا سيبدأ الطفل وهو تحت هذه الحالة الشعورية بالتساؤل، فيثار في نفسه السؤال العابر:

سؤال عابر ثارا... بنفس الطفل فاحترًا
يرى بحرًا ولا يدري... له معنى ولا هدفًا

هذا السؤال المحير لهذا الطفل هو ما يقف أمامه الأطفال - عادة - مع أسئلة كثيرة تنتاب عقولهم الصغيرة، وقلوبهم الطرية، فلا يدركون لها سرًا ولا معنى، ثم يردف الطفل سؤاله المحتار عن حقيقة البحر الذي يراه بالسؤال: بمن سواه؟ وهنا انتقال من المخلوق إلى الباحث عن الخالق، ومن الموجود إلى الموجد، ولعل في هذه النقطة تدخل من الشاعر بما يلمسه، وما عاشه في طفولته، وكل طفل يمر بها في تصور الخالق، والبحث عنه بفطرته النقية البسيطة الصادقة في تساؤلها، وبراءتها، والشاعر بذلك يدفع بالنص من خلال الطفل وسؤاله إلى التأمل في مخلوقات الله، وفي الكون من حوله.

يحار القلب والفكر... فمن سواك يا بحر؟
جلال، روعة، سر... تحير قلب من وصفا

يتمثل السؤال المحير للقلب والعقل - المرموز له هنا في النص بلفظ الفكر - بمن سوى البحر بهذه الصفات التي تدهش الطفل؟! وتضعنا معه في لذة الدهشة الأولى، واكتشاف البحر، ورؤيته لأول مرة، مشاهدة طازجة عبر اللقاء الأول، فتجتمع أمام الطفل ثلاث صفات للبحر هي: الجلال، والروعة، والسر؛ كل ذلك يحير القلب الذي يريد أن يحتوي كل ذلك الجمال دفعة واحدة، ويصف هذا الاندهاش، وأنى لقلب صغير هو قلب هذا الطفل أن يستوعب كل هذه المعاني الكبيرة؟!

نحن هنا مع الطفل نقف لتأمل اندهاش التجربة الأولى، والوقوف أمام البحر بجلاله، وروعته، وأسراره، فكيف سيفعل الشاعر بين هذين الطرفين؟ وهل سيحضر هو موجهًا معلمًا ليجيب عن سؤال الطفل؟ أم كيف سيكون موقفه؟!

استطاع الشاعر أن ينقل الخطاب الشعري إلى البحر نفسه، وليس إلى أي شخص آخر، وغاب هو عن المشهد، وكأنه "عين الكاميرا" يتابع، ويصور من بعيد طريفي اللقاء المحصورين بالطفل والبحر فقط، ومن هنا سيتولى البحر نفسه الإجابة، ويدخل بضميره (ضمير الخطاب المباشر) فيحدث الطفل، وتبرز بذلك خاصية مهمة في تعامل الأطفال مع العالم والأشياء من حولهم، وهي ما يطلق علماء النفس عليها مفهوم "الإحيائية (Animism)" وهي إسقاط صفة الحياة على الجمادات، وإضفاء الحياة على الظواهر الطبيعية كالشمس، والقمر، والأشياء " (طه، أبو النيل، قنديل، محمد، وعبد الفتاح، د.ت، 16)، وربما تكون ترجمتها إلى (الأنسنة) أدق من الإحيائية، وعلى كل، فمعناها أن الأشياء من حولهم حية يمكنهم مخاطبتها والحوار معها، وقد وظف الشاعر هذه الخاصية بنقل المشهد في الحوار إلى البحر مصوراً رد فعله، وجوابه على الطفل، وهنا يظهر تشخيص البحر في صورة الإنسان الوقور بقوله:

وَرَأَى الْبَحْرُ يَبْتَسِمُ ... وَبِالشَّطَّانِ يَرْتَطِمُ
وَحِينَ الطُّفْلُ أَحْرَجَهُ ... أَزَاحَ الصَّمْتَ وَاعْتَرَفَا

البحر هنا يبتسم ليبدأ الاستجابة بهذا المدخل، والابتسامة هي المدخل الطبيعي للحوار وقبول الطرف الآخر، وهذه الابتسامة هي من الصور البيانية والاستعارات التي يحتاج إليها شاعر الأطفال، ف(الابتسام، والإحساس بالحر، وإزاحة الصمت، والاعتراف) استعارات متوالية يقبلها الشعر الموجّه للطفل، ويستوعبها الأطفال، ولكن في حدود معينة حتى لا تفرق الصورة كاملة بالمجاز، والصور الاستعارية.

ومن هنا نجد الشاعر قد خفف ما في المقطع من استعارات بواقعية ارتطام الأمواج بالشيطان "وبالشيطان يرتطم"، وذلك شأن أمواج البحر في الارتطام المتواصل، ثم سيأتي الاعتراف -كما يسميه الشاعر- ولعل القافية هي التي أوججته لهذه اللفظة تحديداً، وفيها أسلوب الاستجواب أمام الطفل، وكأنه سيعترف بشيء غير معروف، ولكنه لم يكن اعترافاً كما تدل اللفظة المستخدمة، وإنما هو جواب على شكل سؤال للطفل يدعوه من خلال أداة المعرفة ومفتاحها -التمثله بالسؤال- إلى أن يسأل الأسماك، والأمواج التي هي من لوازم البحر، ومحتوياته الظاهرة للعيان، وهو بذلك يدعوه للمعرفة بطريقة السؤال لا بتقديم الإجابة الجاهزة، وفي الوقت نفسه هو أمر يتضمن الجواب، ولكنه مصحوب بالتأمل في أركان المشهد عموماً، وبعض محتوياته، فيكون الطفل هو من يسعى إلى ذلك الجواب، ويكتشفه بنفسه، ولا يأتيه في قالب توجيهي جاهز أو مباشر، وهنا يدعوه بصيغة الأمر (سل)، وينداء الأب، وروحه الحانية المعلمة، (يا ولدي)، فيقول:

وَقَالَ الْبَحْرُ: يَا وَلَدِي ... سَلِ الْأَسْمَاكَ فِي كَبْدِي
وَسَلْ مَوْجِي تَجِدْ قَلْبِي ... بِحُبِّ اللَّهِ قَدْ هَتَمَا

ويمضي في سبيل إقناعه - بعد هذا الحوار - إلى المقارنة بينه وبين الطفل، والدعوة إلى التأمل في حالهما معاً، فالبحر بذلك يدخل الطفل في لعبة الإقناع، والبرهنة، والحجاج، ومن وجهة نظر الطفل نفسه؛ لذا سيكون الجواب كافياً ومقنعاً، ويظهر ذلك الاقتناع والتسليم في أن الطفل سيبتسم، وفي تبسمه علامة على الرضا، والقبول، والفهم، ثم يحيي البحر، وينصرف:

إِلَهُ الْكَوْنِ سَوَانِي ... وَمَنْ يَرَعَاكَ يَرَعَانِي
تَبَسَّمَ بَعْدَهَا الطُّفْلُ ... وَحَيَا الْبَحْرَ وَأَنْصَرَفَا

هكذا يكون الجواب عن سؤال معرفي كبير، وتبسيطه بروح إسلامية تحيل الأسئلة الكونية الكبيرة إلى معنى ديني يرتبط بالله عز وجل وبقدرته، فهو الخالق الذي سوى البحر، وهو من سوى الطفل، وتأكيداً عليه يضيف أن من يرعاه هو من يرعى الطفل أيضاً، وبذلك تفرس العقيدة، ويكون التسليم بالأسئلة الكبيرة، والظواهر الكونية المتنوعة ليتحقق المعنى التأملي لهذا الكون الذي يرتبط بالإنسان، ويلتقي معه وفيه، فهو مداه ومن خلاله يكتشف الطفل نفسه والكون من حوله في سلسلة من أسئلة المعرفة، وتداعياتها في ذهن الطفل، ووجدانه.

هذا النص الشعري الطفلي توافرت له عناصر النجاح، وخصائص الشعر الموجّه للأطفال في صوره الحسيّة التي تعكس الطريقة التي يكتشف الأطفال بها عالمهم، فهم - كما يقول أبو معال (1988، 99) - "يعتمدون على الإبصار والسمع، وبذلك فشرعهم يجب أن يقدم صوراً، وخيالات حسيّة تخدم هاتين الناحيتين: (البصر، والسمع)"، فهو يرى البحر بكل ما فيه، ويسمع اصطدام أمواجه ويحاوره، ومن خصائص ذلك الشعر المهمة جملة البسيطة، وإن كانت تلك الجملة تحتوي أحياناً على التقديم، والتأخير في ظرف المكان أو الزمان، ولكنها في مجمل النص جمل واضحة البناء، سهلة التركيب وغير معقدة، تبدأ بقوله:

أَمَامَ الْبَحْرِ قَدْ وَقَفَا ... صَبِيٌّ يَجْمَعُ الصَّدَقَا
وَحِينَ الْمَوْجُ بَلَّلَهُ ... أَحْسَى الْبَرْدَ فَارْتَجَفَا

هذا التركيب الشعري في الجملة البسيطة صاحبته المفردات السهلة أيضاً التي يستعملها الأطفال في حياتهم، وحديثهم اليومي وحوارهم، فكان واضحاً سهل المأخذ مبنياً على السبب والنتيجة:

سُؤَالَ عَابِرٍ ثَارَا ... بِنَفْسِ الطِّفْلِ فَاحْتَارَا
يَرَى بَحْرًا وَلَا يَدْرِي ... لَهُ مَعْنَى وَلَا هَدَفَا

2 - الوزن الشعري:

الوزن الشعري في نص "الطفل والبحر" جاء على مجزوء بحر الوافر، وهذا البحر كثير الطواعية "يشد إذا شدّته، فيصلح لموضوعات الحماسة، والفخر، والمديح، وغيرها، ويرق إذا رقتته، فيصلح لموضوعات الغزل، والوجدانيات، والوصف... ولذا فهو كثير الشيع في الشعر العربي قديمه، وحديثه" (أبو طالب، 2018، 73)، ومن هنا كان اختيار الشاعر له اختياراً موفقاً، فهو بحر غنائي بامتياز، وتفعيلته "مفاعلتن مفاعلتن" ويدخلها الإضمار كثيراً، فتصبح ساكنة الحرف الخامس "مفاعلتن"، وهو حينئذ يشبه الهزج بتفعيلته "مفاعيلن"، "ويرى العروضيون أنه منه؛ وأنه بحر مُسرّع النغمات متلاحقها" (الطيب، 1989، 405)، وهذا المجزوء من بحر الوافر له إيقاع راقص، والأطفال في طبيعتهم استعداد أصيل للتغني بما يستحذو على أفئدتهم من الكلام الموسيقي المنغم، ولهذا يشترط النقاد الجودة في القصيدة الموجهة للطفل كشرط أساس؛ "لأن الشعر الضعيف يدفع الطفل إلى الملل، ولا أحد يستطيع أن يكرر أغنية مرّات عديدة إلا إذا كانت على قدر كافٍ من الجودة، والتأثير" (نجيب، 1991، 150).

كما أن الأوزان الخفيفة السريعة الإيقاع هي الأنسب لهذا اللون من الشعر؛ "لأنها تريح الشاعر كما تريح المتلقي الصغير، وتساعد على إيصال فكرة القصيدة وصورها ولغتها بسهولة ويسر، مما يسهل عليه فهمها وحفظها" (جلولي، 2009، 278).

وقد تحققت تلك الجودة مع الوزن الغنائي في نص "الطفل والبحر"، ثم جاء التنوع في القوافي من خلال الأشطر الرباعية بتغيير الروي في الشطرين: الأول، والثاني، والتجاوز في الثالث أو الاستمرار فيه بقافية موحدة في كل مقطع؛ ليكون الشطر الرابع معاداً بالفاء الموصولة بألف الإطلاق ليربطها بقافية المطلع (وقفاً - الصدف - ارتجفاً ... الخ)، وهذا التنوع في القافية أكسب الشعر نغماً، وإيقاعاً جديداً وأبعده عن الرتابة.

3 - الجرس الموسيقي والأصوات:

أمّا الجرس الموسيقي والأصوات فنلاحظ أن النص قد اتكأ على الجرس الموسيقي للقافية من خلال تكرار إيقاع صوتي متطابق للكلمات في الثلاثي (فعل): (وقف- صدف- هدف- وصف- هتف) ثم في المزيد (افتعل، وانفعل) في الكلمات: (ارتجف- اعترف، انصرف)، هذا الجرس للكلمات - بنوعيهما الثلاثي والمزيد - جعل الأبيات ذات إيقاع موسيقي داخلي مترابط في جرس موحد يتبع جرس القافية ويشدها أيضاً، ثم إن غلبة حرف (الفاء) وحضوره في القافية استدعى مفردات أخرى ذات جرس يحتوي هذا الحرف في بقية كلمات النص، ويؤكد ظهور مفردات منها: (الطفل [3مرات] - الفكر - نفس - فمن - فاحتاراً - في...).

هذا التضافر الصوتي في الالتزام بحرف له صفة الاحتكاك، والهمس من مخرج أسناني شفوي يضاف إلى خصائص الأصوات التي ترابطت في بناء النص الشعري، ثم يأتي بشكل أقل جرساً موسيقياً مع صوت (القاف)، وهو أخو الفاء، وتاليه في الألفبائية؛ حيث يظهر بصفته الانفجارية القوية، ويشاركه في الهمس، ولكنه يختلف عنه في المخرج في مفردات: (القلب- قلب- قلبي [معرفة، نكرة، وإضافة] - قال- قد...).

وهناك من الجرس الموسيقي للأصوات ما يتناغم مع ما ذكرناه بخصوص أصوات الحروف في الكلمات والمفردات التي اعتمدت على حرف (الراء) بما فيه من جرس موسيقي تكراري رنان، وهو من الحروف السهلة على ألسنة الأطفال، بل إنهم كثيراً ما يلعبون مع هذا الحرف حتى بكلمات لا معنى لها؛ في حركاتهم؛ وألعابهم، ومن هنا فقد وظفها الشاعر في نصه، فاكسبت الكلمات نغماتها الخاصة غير المتنافرة كما في: (البحر- البرد- ثار- احتار- يرى- يدرى- يحار- الفكر- روعة- سر- تحير- راح- يرتطم- أحرجه- اعترفا- يراعاك- يرعاني- انصرفا) هذه الكلمات سواء أكانت أسماء أم أفعالا احتوت على حرف الراء بجرسه الموسيقي، وبمساندة حروف الذلاقة الأخرى، فكانت المفردات خفيفة واضحة، وشعرية ذات جرس موسيقي رنان.

يتضح من ذلك الاستخدام الصوتي والجرس الموسيقي المقصود للبناء الخارجي للنص وزناً، وقافيةً، كما يتضح البناء الموسيقي الداخلي للمفردات، والتركيز على المتناظر منها والمتشابه؛ حيث يظهر من كل ذلك تمكن الشاعر من التعامل مع قاموس شعري له جرس موسيقي متقارب ذو أصوات متوازنة، ذلك التوازن الذي يبدو في استعمال المفردات التي ذكرناها، وكذا يبدو من توازن مفردتي: (الطفل، والبحر) - كونهما مفردتين أساسيتين شكلنا العنوان، والموضوع معاً - حيث تكررت كلمة (الطفل) 4 مرات، ومرة لمرادفها الصبي، وتكررت كلمة (البحر) 7 مرات - 5 مرات منها معرفة، ومرتين نكرة - هذا التقابل علامة أخرى من علامات التوازن الصوتي، والموسيقي في عموم النص.

4 - التكرار:

وهذا مما يشير إلى جانب آخر من خصائص الشعر الموجّه للطفل، وهو الاعتماد على التكرار، وقد يكون التكرار إعادة بعض الجمل أو الكلمات في النص، وهذا قد ظهر - كما رأينا - في هذه الكلمات المكررة، وإن كان قد ظهر التكرار بشكل أكثر وضوحاً من خلال اللحن والغناء عند تنفيذ النص، وتلحينه، وذلك بإعادة الطلغ، وتكراره فيما يسمى بـ (الكورال) الذي يردده الأطفال، ويتكرر في الغناء.

5 - حجم النص:

يبدو حجم النص - من حيث الطول والقصر - حجماً مناسباً ونموذجياً في (12) بيتاً بستة مقاطع، وهذا العدد كاف لتصوير المراد من النص الشعري الموجّه للطفل، وبنيت المتوازنة فكرة وموضوعاً، ونلاحظ أن الشاعر سليم عبد القادر يلتزم هذا العدد في أغلب قصائده الإنشادية، وكما هو المتبع عند معظم شعراء الطفولة الكبار.

6 - السرد في النص الشعري:

وحين نتأمل خاصية الجانب القصصي في النص أو ما يحتويه من سرديّة، وهي خاصية مهمة جداً في هذا الشعر نجد أنه لا يخلو من تلك العناصر الأساسية في القصص، ومنها الشخصية. وأبرز الشخصيات في النص هما: شخصية الطفل، وشخصية البحر، فالطفل شخصية ذكية، متسائلة، مرهفة الإحساس، متأمل للكون، وللحياة محبة لمظاهرها، مليئة بالطاقة والحركة، (يجمع الصدف، يرتجف حين يحس البرد، ثم يتساءل، وينار بنفسه ذلك السؤال عن سر البحر، وحقيقته) كما أن شخصية الطفل بعد كل ذلك شخصية قوية تتمثل قوتها في سؤالها العميق الذي يجرّج البحر، فيزيح عنه الصمت، ويعترف، ثم هو قبل ذلك شخصية لطيفة مؤدبة حسنة التصرف، فحين يفهم، وينتهي من حوارهِ مع البحر يبتسم، ويحيي البحر، وينصرف.

وبذلك استطاع النص أن يرسم شخصية متكاملة للطفل نابضة بالحياة، والذكاء، والخلق الحسن، والتصرف السليم.

وفي المقابل حضرت شخصية البحر الوقورة ذات الجلال، والروعة، واحتواء الأسرار، والسّن الكبير، تلك الشخصية تتعامل مع الطفل بروح الأب، وتناديه بـ (يا ولدي) بما يحمل هذا النداء من دلالات الود، والحنان، والسّن، كما أنه يبدو حكيمًا مؤمنًا بالله، يظهر كل ذلك في رده على الطفل ذلك الرد المقتنع الهادئ المليء بالإيمان، والحجة بأن من سواه هو ذاته من خلق الطفل وسواه، وجعل الأسماك في كبده، وكأنها قطعة منه كما أن الأبناء قطعة من أكباد آبائهم.

ثم تكتمل العناصر السردية الأخرى في النص بالحدث المتمثل في حضور الطفل إلى البحر، وجمع الصدف، وتبلييل الموج له، ثم الإحساس بالبرد، فالتأمل من خلال السؤال الذي ثار في نفسه عن معنى البحر، وهدفه، وحيرة الطفل أمام ذلك السؤال الكبير، ثم يأتي جواب البحر عليه بالمنطق، والمقارنة، والحجاج، ثم الانصراف، وهذه مجمل أحداث النص.

ومن العناصر أيضًا عنصر الحوار الداخلي المتمثل في قوله: (سؤال عابر ثار بنفس الطفل فاحتارا) ثم يأتي الحوار الخارجي المتمثل في السؤال المباشر للبحر، وجواب البحر عليه، وبصيغة (قال).

ومن العناصر الرئيسية عنصرا المكان والزمان، فهما حاضران من بداية النص، فالمكان هو البحر مكانًا مفتوحًا بكل مكوناته من (أمواج، وشطآن، وأسماك، ونسيم، وبرد... الخ)، وأما الزمان فيسير سيرًا خطيًا يبدأ من لحظة الوقوف أمام البحر، فجمع الصدف، فلحظة البلي، فالشعور بالبرد، فالتأمل والسؤال، فالحوار حتى تحين لحظة الانصراف، ووداع البحر، وهو زمن غير محدد، ولكنه زمن كاف لزيارة معهودة للبحر، واللعب، والتأمل، تلك هي مجمل العناصر السردية التي احتواها النص الناجح بشكل متوازن مع بقية الخصائص الشعرية الأخرى.

7 - الطرافة:

والطرافة في النص تكمن في هذه الروح الطفولية التي تغلف أحداثه، وعناصره التي تبدأ باستثارة البحر للطفل بأواجه، وكأنها بداية للتعرف، حين يداعبه البحر بمائه، فيكون ذلك لفتًا للانتباه، واستثارة تدفع الطفل للسؤال عن البحر، وعن سر هذا الجمال، والجلال، والروعة، فيقود ذلك للتعرف، والحوار مع البحر، وحين يقتنع الطفل، يتبسّم، وينصرف، هذه الطرافة تجعل من البحر روحًا طفولية تبدأ بالتعارف مع الطفل، وتستثيره، وتقيم معه صداقة تنتهي بالابتسام، والنداء، والتحية.

8 - الحركة:

وأما الحركة في النص فهي مستمرة من خلال ما أشرنا إليه بالأحداث قبل قليل، وهي أحداث متتابعة في خطية منطقية تتمثل بالوقوف أمام البحر - بداية - ثم الشروع في جمع الأصداف، فالاقتراب من البحر نتيجة ذلك الجمع، فتبلييل الأمواج للطفل، فالإحساس بالبرد، فالارتجاف كرد فعل طبيعي، فاستثارة السؤال في نفس الطفل، فالحيرة المسببة له جراء ذلك السؤال الكبير الذي لا يدري الطفل الصغير فيه للبحر معنى، ولا هدفًا؛ نتيجة خبراته البسيطة، وسنّه الصغير، ويتجسد بشكل مباشر في سؤال: (فمن سواك يا بحر؟) وهنا ينتقل بالحركة من حيرة القلب في وصف هذا الجلال، والروعة، والسّر إلى البحر نفسه الذي سيتحرك حركة مقابلة بحسب طبيعته، وهي ارتطام الشيطان بأواجه، ثم الإحالة إلى حركة الحياة بداخله (فالأمواج حركة خارجية يشاهدها الطفل، والأسماك حركة داخلية في كبد البحر يتحدث عنها البحر) وهذه الحركة الدائبة من الأمواج، والأسماك في قلب البحر كلها تهتف بحب الله، وهنا تتجلى حركة إيمانية كبرى تكمل رسم صورة الكون بإطرافه من إنسان، وبحر، ومخلوقات، ومن حركة الطفل وحركة البحر يعود النص، ويختم تلك الحركة بتبسّم الطفل، وتحيته، وانصرافه في حركة الوداع.

إذا فالتصُّ مليءٌ بالحركة، نابضٌ بالحياة بين طرفيها المتحاورين، وما يعتري كلُّ من: الطفل من أمواج السؤال المتلاطمة في نفسه وفكره، والبحر بما يعتمل في باطنه من سمك وكائنات، وفي ظاهره من موج وشطآن، كل ذلك أكسبه هذا الأفق من الجلال، والروعة، والأسرار التي بدأ الطفل يتعرَّف عليها من خلال فك بعض شفراتها بالسؤال المعرفي، وهو سرُّ الإنسان نفسه، وسلاحه في احتواء الكون، ومواجهته، وفهمه، والسيطرة عليه، ومعرفته، فكان الجواب حركة أخرى أكثر عمقا وتأملًا إنها حركة الكون المرتبط بذات الله، والمتمثلة في النصِّ بقوله: "فمن سواك سواني.. ومن يركاك يركاني" لتتضح غاية الكون، وترتبط بخالق الكون الذي أبدع هذا الجمال في الكون، وفي الإنسان.

ومما يميِّز نصَّ "الطفل والبحر" بوصفه نصًّا طفوليًّا مكتملًا خلَّوه من الضرورات الشعرية سواء كانت تلك الضرورات في الوزن أو في النحو أو في الصِّرف، وقد ابتعد النصُّ حتى عن الجمل الاعتراضية أو العبارات الشارحة أو ما قد يكسبه شيئًا من الغموض في التركيب، وهو بذلك نصٌّ ناضج مكتمل البناء، والقصدية، والتنغيم.

9 - التعليمية :

وإذا ما جئنا إلى الخاصية التعليمية كواحدة من أهمِّ خواصِّ شعر الطفولة من غير أن تكون هذه التعليمية مباشرة أو ذات بُعد توجيهي ينظر منه الأطفال عادة، فإنَّ التعليمية التي احتواها النصُّ قد أتت من الاستغراق الجميل، والتأمل في بعض أسرار البحر من خلال السؤال عن معناه وهدفه، بعد الوقوف المندهِش أمام جلّاله، وروعته، وسره، وهو ما سعى النصُّ إلى الإجابة عنه على لسان البحر نفسه، ولكن الجواب كان ذكيًّا خلا من المباشرة والتوجيه، وقاد إلى التأمل في الطلب من الطفل أن يكتشف بنفسه، ويسأل من خلال فعل الأمر في (سَلِ الأسماك.. وسل موجي..). في قلب هذا البحر المترطم الأمواج، والمتسع الشطآن، ويكون الجامع لذلك هو حبُّ الله الذي عبّر عنه هذه الحياة بأصواتها، وجعلت الجواب هتافًا بحبِّ الله، كما أن كل شيء يهتف له، وكل شيء له صوت، وبه حياة، فإن هذا الكون والاله الكبير الذي سوى البحر وسوى الإنسان هو من يراعهما معًا، وهنا يتحد البحر بالإنسان في هذه الرعاية، ويهتف معه بحبِّ الله الذي له تهتف القلوب، وله تسبُّح الكائنات، وقد قدّم الشاعر هذه التعليمية بطريقة مناسبة وذكية؛ حيث جعل البحر يخاطب الطفل، ويجعله من يكتشف ذلك بنفسه، ويحيل الفعل إليه «تجد قلبي بحبِّ الله قد هتفا» هذا الوجود، وهذا الفعل هو غاية التعليمية، وأداتها التدبير في خلق الله، وفي الكون من حولنا.

وبذلك يكتشف الطفل نفسه، ويكتشف مكانه من الكون، ومكانته، ويعرف أن البحر الواسع واحد من مخلوقات الله، في الكون الفسيح المترامي، ويدرك أن ما فيه من مخلوقات، وأسماك، وأمواج، وحركة زاخرة بالحياة كلها تعبر عن صوت واحد، ووجود واحد يستدعي السؤال عنه، وتأمله إلى معرفة الموجد، وبذلك تتحقق أهمية الخطاب الشعري الموجَّه للطفل بتعليمية إسلامية، وخطاب ديني يفرسه المرءي / الشاعر بطريقة تعليمية وتربوية غير مباشرة، وفي الوقت ذاته لا تدعو إلى النفور، بل تقود إلى التسليم، والمحبة، والتصالح مع الكون؛ لأنها في حقيقتها ذات (جلال، وروعة، وأسرار) تجعل من حق الطفل أن يشارك في اكتشافها، وفك مغاليقها بالتدريج، ويحكم سنه للوصول إلى الخالق من خلال تأمل مخلوقاته، وغرس بذرتها في نفسه المفطورة على حبِّ الله، والانجذاب إليه، وتلك هي غاية التربية الإسلامية، وفلسفتها المتميزة بالتزامها، ورسالتها.

بقي أن نشير في ختام هذا التحليل إلى عنصر داعم مهمٍّ لأنشودة الأطفال، وهو الفيديو كليب أو الصورة المتحركة التمثيلية للأنشودة المغناة، وتؤكد الدراسات «أن الصياغة الشعرية المغناة تبقى في وجدان الطفل إلى أزمان طويلة، وكلما نجحنا في صياغة القيم في مقطوعات يسهل حفظها وترديدها أنشأنا بذلك طفلًا متدوِّقًا للجمال» (سويلم، 2014، 26).

أنشودة "الطفل والبحر" هي أول أنشودة كتبها الشاعر سليم عبد القادر للأطفال - كما سبق أن أشرنا - فكانت فاتحة كتاباته، وانطلاقته التي بلغت بعد ذلك العشرات من الأناشيد الناجحة التي سجلتها قناة (سنا) الفضائية للأطفال، وبتتها لسنوات طويلة، هذه الأنشودة من ألحان: خالد جنون، وإخراج: عمر سيف، وأداء الطفلة: إلهام أحمد (قناة سنا الفضائية، 2017)، وقد حظيت باهتمام وزارة التعليم بالملكة العربية السعودية، فوضعتها ضمن كتاب لغتي للصف الثالث الابتدائي (وزارة التعليم، 2017)، وهذا جعلها تظفر بقدر كبير من المشاهدات التي بلغت الملايين سواءً بلحنها التريوي الإنشادي المدرسي أو بلحنها الآخر على قناة سنا الفضائية، هذا اللحن والأداء التمثيلي الذي يمتاز بعالم الطفولة مجسداً للنص المكتوب فكرة ومعنى؛ حيث يتم تصوير طفل يذهب للبحر، فيجمع الصدف، فيبلله الموج، فيرتجف، ثم يقف متأملاً منظر البحر، وحين يأتي جواب البحر يتخذ المخرج طريقة تصويرية مناسبة لعقول الأطفال وخيالهم، وهي أن يأخذ الطفل في فقاعة كبيرة إلى أعماق البحر، فيشاهد حركة الأسماك والكائنات البحرية، وكأنه في غواصة، ولكنها لا تحتوي سوى الطفل.

وحين ينتهي من رحلته الاستكشافية يعود إلى الشاطئ، ويتحرك خارج الفقاعة التي تتناثر ماءً، ويخرج منها الطفل، وهذه معالجة سينمائية، وإخراجية تتضاهر مع الكلمات، وتجسد الجوار الذي كان مع البحر بكلام البحري (النص)، وبلطف (قال البحر) بالصورة في مشهد (الفيديو) حيث يصور المشهد الطفل في رحلة إلى أعماق البحر، فيشاهد تلك المشاهد المدهشة، ويعود كما يعود الأطفال من رحلاتهم في الألعاب المائية أو الكهربائية في سرور، وإشباع، وقد أرضوا أنفسهم بهذه اللعبة، أو بذلك الاكتشاف، والمغامرة الممتعة، وهذا النوع هو الذي يطلق عليه أحد الكتاب مصطلح "شعر الأطفال الإعلامي" (خير، 2012) كتميز لهذا النوع الشعري الذي كثيراً ما تختلف أساليب كتابته عن أساليب كتابة قصيدة الطفل المطبوعة، والمسموعة.

بهذا نجد أن نص أنشودة "الطفل والبحر" قد حقق الكثير من صفات النجاح والانتشار بما احتواه من كلمات معبرة، وفكرة متأمل، ولحن راقص جميل، وتصوير سينمائي احترافي، وحضور للأطفال بروحهم، وتصوراتهم، وعوالمهم البريئة كل تلك الصفات والخصائص مجتمعة جعلت منه نصاً متميزاً، وخطاباً شعرياً طلياً ناجحاً يعيش معهم، ويستثيرهم، فيسعدهم، ويطربهم لسنوات طويلة - وما يزال - بنال الإعجاب، ويحظى بالمشاهدة، والمتابعة، والحفظ، والاستمتاع من كل الأطفال العرب، ولذلك فهذا النص ما برح يتردد حياً راقصاً في وجدانهم النابض بالحياة، والجمال، وباللحان الإيمانية، والتأملات الإنسانية الرفيعة.

الخاتمة:

تتضح أهمية الشعر الموجه للطفل وقيمتيه في تهذيب الأطفال وتعليمهم، وتأديبهم، وإمتاعهم بالجميل من النغم، والبديع من سحر الشعر الإنشادي السهل الذي يطربون له فترق له نفوسهم، وتصفو به طباعهم، وتوثب عقولهم، وتتطلع للفهم والإدراك والاستيعاب، بل والنمو السليم القوي، يصاحبهم في ذلك الفني الشعري الملتزم الواعي، المليء بالحياة، وبقيم الخير، والحب، والجمال؛ لأن الشعر رسالة، وأدب الطفل مهنة صعبة لا يجيدها إلا القليل، ولا يدرك صعوبتها إلا من خاض غمار المحاولة فيها، وعاش حياتها بكل معانيها، وببراءة أطفالها، وعوالمهم المدهشة البديعة، واكتسب منهم صفاء أرواحهم، وذكاء عقولهم، وعمق خيالهم، ولذة طفولتهم.

الاستنتاجات:

توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات أهمها:

- أن الشعر الإنشادي الناجح الموجه للطفل له خصائص من أهمها: الروح الطفولية التي تهتم بقضايا الطفل، وعوالمه، واحتياجاته دون إقحام لعوالم الكبار، وموضوعاتهم، كما أنه يتضمن التعليمية دون الوقوع في التوجيه المباشر، وفرض الأفكار، وإقحام الإرشاد.
- أن صياغة الخطاب الشعري تهتم بالجملة البسيطة، والمفردة السهلة الواضحة، ولذا يكون النص قصيراً بعيداً عن الحشو، والزيادات، والأطناب الذي قد يحمل النص ما لا يحتمل، مع التركيز على الجرس الموسيقي، والأصوات المتناغمة في المفردات.

- أن الوزن الشعري يجب أن يكون من مجزوءات البحور، ويستحسن أن يكون من التفعيلات الصافية غير المركبة، وتتوغل فيه الأوزان والقوافي، مبتعدة عن الضرورات الشعرية، وعن كل ما يعقد المعنى.
- أن الخطاب الشعري يستعين بأدوات السرد، وعناصر القص بما يمنحه ذلك من حركة، وطرافة، وحياء، ويدعمه من حيث الانتشار، والفائدة المرجوة أن يصحبه اللحن، والإيقاع الجميل مع الفيديو الذي يزيد الأطفال إقبالاً عليه، واستمتاعاً به.
- أن الشاعر سليم عبد القادر من خلال أنشودة "الطفل والبحر" قد استطاع أن يقدم أنموذجاً ناجحاً للخطاب الشعري الموجه للطفل وفق خصائصه المتوازنة والمطلوبة في كتابة نص شعري يلبي احتياجات الطفل، ويحقق أهدافه الجمالية، والمعرفية، والتعليمية في لغة فصحة تضيف إلى قاموس الطفل اللغوي والإدراكي الكثير من جماليات اللغة العربية، والروح الإسلامية المعتدلة.

التوصيات:

توصي الدراسة الباحثين والمهتمين في أدب الطفل بأهمية تناول الموضوعات الحيوية في حياة الأطفال كالأهتمام بدراسة القصّة الغنائية، وكذلك بطبيعة الأغنية الموجهة للطفل، ومتابعة ما تنشره بعض القنوات من أناشيد وأغانٍ للأطفال تحتاج إلى بحث في طبيعة العلاقة بين الكلمة والصورة من ناحية، وبين طبيعة المفردة الغنائية وعلاقتها بالمرحلة العمرية من ناحية أخرى، وما علاقة كل ذلك بطفل اليوم؛ هذا الطفل الحساس ذو الطبيعة الذكية والمتجددة والمتطلعة.

كما توصي الباحثين بخوض البحث في عوالم التقنيات الحديثة وارتباط الإعلام الجديد (السوشل ميديا) بأدب الطفل الهادف، وبالإنتاج المختلف الذي يشكل الآن موضوعات جديدة ومختلفة تحتاج إلى دراسة علمية، وبحث أكاديمي.

وكذلك توصي بالنظر والمتابعة في طبيعة الأنشودة العربية المبتكرة وبيان خصوصيتها بما يمثل الصوت العربي الأصيل بقيمه ومبادئه وتراثه وجمالياته، في ظل التبعية والتقليد وعلاقتها بالمرجعية الثقافية الغربية والشرقية.

المراجع:

- أبو سعد، أحمد (1982)، *أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي* (ط2)، بيروت: دار العلم للملايين.
- أبو طالب، إبراهيم (2018)، *في علم العروض والقافية وفنون الشعر الفصحى والشعبية* (ط1)، القاهرة: ومؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر.
- أبو معال، عبد الفتاح (1988)، *أدب الأطفال: دراسة وتطبيق* (ط2)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- أبو معال، عبد الفتاح (2005)، *أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيضهم* (ط1)، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- البكري، طارق (2014، أكتوبر 22)، *رسالة إليك أيها الأديب الشاب*، استرجع بتاريخ 3 / 8 / 2019، من موقع الألوكة: https://www.alukah.net/literature_language/11010/77500
- جلولي، العيد (2008)، *الشعر الموجه للأطفال: المصطلح وإشكالية المعايير، مجلة الأثر*، (7)، 141 - 146.
- جلولي، العيد (2009)، *التشكيل الموسيقي في النص الشعري الموجه للأطفال، مجلة الأثر*، (8)، 278 - 291.

الحديدي، علي (1986)، *في أدب الأطفال* (ط4)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

خير، صهيب محمد (2012، أغسطس 29)، *الشعر في إعلام الأطفال*، استرجع بتاريخ 3 / 8 / 2019، من موقع الألوكة: http://www.alukah.net/literature_language/11010/43739

دار ناشري (2007، نوفمبر 2). شاعر الأناشيد الإسلامية سليم عبد القادر، استرجع بتاريخ <http://www.nashiri.net/interviews-3/8/2019م-من-موقع-دار-ناشري-للنشر-الإلكتروني-and-reports/interviews/3566--ae-v15-3566.html>

داود، أنس (1993)، *أدب الأطفال في البدء.. كانت الأنشودة*، القاهرة: دار المعارف.
زلط، أحمد (1997)، *أدب الطفولة، أصوله - مفاهيمه - رؤى تراثية* (ط4)، القاهرة: الشركة العربية للنشر والتوزيع.

زلط، أحمد (1998)، *أدب الطفل العربي: دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل* (ط1)، القاهرة: دار هبة النيل للنشر والتوزيع.

سويلم، أحمد (1985)، *أطفالنا في عيون الشعراء* (ط1)، القاهرة: دار المعارف.
سويلم، أحمد (2014)، *إطلالة على عالم البراءة: دراسات في ثقافة الطفل العربي* (ط1)، القاهرة: دار المعارف.

شبانة، ناصري يوسف جابر (2011)، *أدب الأطفال دراسة في المفهوم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها*، (6)، 13 - 42.

شحاتة، حسن، والنجار، زينب (2003)، *معجم المصطلحات التربوية والنفسية* (ط1)، مراجعة حامد عمار، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

الصفدي، بيان (2008)، *شعر الأطفال في الوطن العربي: دراسة تاريخية نقدية* (ط1)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

طعيمة، رشدي (1998)، *أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية: النظرية والتطبيق - مفهومه وأهميته - تأليفه وإخراجه - تحليله وتقويمه* (ط1)، القاهرة: دار الفكر العربي.

طه، فرج عبد القادر، وأبو النيل، محمود السيد، قنديل، شاكرا عطية، محمد، حسين عبد القادر، عبد الفتاح، مصطفى كامل (د.ت)، *معجم علم النفس والتحليل النفسي* (ط1)، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الطيب، عبد الله (1989)، *المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها* (ط3)، الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

القائي، أبو علي إسماعيل بن قاسم البغدادي (1984)، *الأُمالي* (ط2)، بيروت: دار الحديث للطباعة والنشر.

قناة سنا الفضائية للأطفال (2017، ديسمبر 30)، *الطفل والبحر من ألوم الطفل والبحر*، استرجع بتاريخ <https://www.youtube.com/watch?v=ROrkOaWH4p4> من 3/ 8/ 2019م

كنعان، أحمد علي (1995)، *أدب الأطفال والقيم التربوية* (ط1)، دمشق: دار الفكر.
مرتاض، محمد (1994)، *من قضايا أدب الأطفال* (ط1)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
نجيب، أحمد (1991)، *أدب الأطفال علم وفن* (ط1)، القاهرة: دار الفكر العربي.

النويرة، حنان عبده (2008)، *معايير البناء الشعري للقصائد المكتوبة للأطفال في الشعر العربي الحديث: دراسة في ديوان الأطفال لأحمد شوقي، وديوان الأطفال لسليمان العيسى، وديوان أغاريد وأناشيد لإبراهيم أبو طالب، وديوان تحيا الشجرة لبيان الصفدي* (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة صنعاء، صنعاء.

الهريرة، محمد علي (1996)، *أدب الأطفال: دراسة نظرية وتطبيقية* (ط1)، الأحساء: دار المعالم الثقافية.

الهييتي، هادي نعمان (1977)، *أدب الأطفال (فلسفته، فنونه، وسائله)*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية ببغداد.

الوافية، شروق بنت عبد الرزاق (2018)، *النص الشعري في أدب الأطفال عند سليم عبد القادر قضاياه وخصائصه الفنية* (رسالة ماجستير)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

وزارة التعليم (2017)، *كتاب (لغتي الجميلة) للصف الثالث الابتدائي، الرياض: وزارة التعليم*.
يحيى، رافع (2001)، *تأثير ألف ليلة وليلة على أدب الأطفال العربي* (ط1)، حيفا: دار الهدى للطباعة والنشر.

يوسف، عبد التواب (1995)، *شعر الأطفال إلى أين؟، مجلة القافلة، 43 (12)، 20 - 23*.
يوسف، عبد التواب (2000)، *المختار من شعر شوقي للأطفال* (ط1)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

Essex, C. (1996). *Teaching Creative Writing in the Elementary School*. ERIC Digest, ED391182.